قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي

أ.م.د. محمد عبد الله المعموري الباحث. أحمد جاسم محيميد

المقدمة

يعد موضوع قبيلة زناتة ودورها في الاحداث السياسية بالمغرب العربي من المواضيع التاريخية المهمة التي لم تحظ بعناية الباحثين لاسباب متعددة لعل اكثرها اهمية هو قلة المادة التاريخية المتاحة امام الباحث فضلا عن تناثر المعلومات في بطون الكتب مما يتطلب جهدا مضاعفا من اجل جمع هذه المعلومات واعادة صياغتها وبما ينسجم مع اهداف هذا البحث.

تعد قبيلة زناتة من القبائل المغربية العريقة والتي كانت لها مساحة انتشار واسعة في المغرب العربي ابتدأ من المغرب الأدنى وانتهاء بالمغرب الأقصى , مما جعل دورها بالأحداث السياسية دور كبير وفعال لاسيما موقفها من الصراع الأموي الفارسي إذ تناغمت تطلعاتها السياسية مع توجهات الأمويين في المنطقة مما جعلها ندا عنيدا لتطلعات الفاطميين في المغرب العربي فضلا عن ذلك فقد تبنت بعض فروع هذه القبيلة وعلى وجه التحديد بنو يفرن أفكار الخوارج في المنطقة من صفرية ونكارية وأسهمت بشكل فاعل في ترجيح كفة هذه الحركات لاسيما حركة مخلد بن كيداد النكاري التي هددت كيان الدولة الفاطمية ونتيجة لعدم وجود دراسة أكاديمية متخصصة بموضوع قبيلة زناتة على حد علمنا فقد وجدنا الموضوع جدير بالدراسة وذلك لسد النقص في المكتبة المغربية بما يخص دراسة القبائل وأثرها بالأحداث السياسية.

المبحث الأول

التعـريف بقبيلة زنـــاتة

التسمية والأصل:

تعددت الروايات التاريخية عن أصل قبائل زناتة العريقة العهد في بلاد المغرب العربي، إلا أن هذه الروايات تختلف في نسب زناتة، فمنهم من يؤكد على أن نسب زناتة يعود إلى العرب وذهب بهذا الاتجاه كل من: الملزوزي[1] وابن أبي زرع[2] وصاحب كتاب الذخيرة السنية[3] إذ أكدوا على أن قبيلة زناتة تعود بأصلها إلى بر بن قيس بن عيلان الذي نزح من نجد إلى ديار أخواله البربر[4] في فلسطين وما جاورها من بلاد الشام ومصر وقد ذكر مؤرخو هذا الاتجاه قصة مفادها ان قيس بن عيلان كانت له زوجتين الأولى عربية من قبيلة ربيعة أنجبت له ثلاثة أولاد (عمر وحفص وسعد)، والزوجة الثانية بربرية من قبيلة مجدولة أنجبت له ولد اسمه (بر) والبنت اسمها(تماضر) وكانت لقيس ابنة أخ اسمها (البهاء) بنت دهمان رائعة الجمال مما حذا بأولاده الأربعة التنافس على الزواج منها لكنها اختارت بر لأنه الأصغر سناً والأحسن وجهاً مما آثار غيرة أخوته وعداءهم له، لذا هاجر إلى ديار أخواله البربر، وهناك أنجب بر ولدين هما (علوان ومادغيس)، أما الأول فمات صغيراً، والثاني عاش ولقب بالأبتر ومن ولده جميع قبائل زناتة[5].

وبعد مقتل داود عم الملك البربري جالوت انتقلت زناتة مع البربر إلى بلاد المغرب حتى انتهوا إلى أقصى المغرب فتفرقوا هناك[6] وهذا ما أوردته المصادر الإسلامية[7].

(1) أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، (الرباط – 1963)، ص67.
(2) الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالله، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، دار المنصور للطباعة، (الرباط-1972)، ج2 ص184.
(3) مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في محاسن الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط- 1972)، ص16.
(4) الملزوزي، نظم السلوك، ص67 ؛ مجهول، الذخيرة السنية، ص12-13 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ج2، ص185.
(5) ابن أبي رزع، الأنيس المطرب، ص279 ؛ الإدريسي، أبو عبدالله محمد الشريف، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، (الجزائر- 1957)، ص35.
(6) الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص35.
(7) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، دار الكتب العلمية، (بيروت- 2006)، ج7، ص4.

أما القسم الآخر من المؤرخين كالبلاذري[1] وابن حزم[2] وابن خلدون[3] فقد أنكروا على زناتة نسبها العربي ونفوا ان يكون لقيس بن عيلان ولد اسمه بر وأكدوا أن نسب زناتة ينحدر إلى حام بن نوح وبالتالي فأن زناتة هي من القبائل الحامية الأفريقية.

لكن كثرة الأدلة والشواهد التي حملها لنا مؤرخوا الاتجاه الاول تنفي ماورد عند كل من البلاذري[4] وابن حزم[5]، ومن هذه الشواهد التاريخية الوثيقة التي نفضت الغبار عن نسب قبائل زناتة وأثبتت عروبتهم تلك التي نقلها لنا مؤلف كتاب الذخيرة السنية عندما ذكر الخطاب الذي وجهه حسان بن نعمان الغساني[6] إلى قبائل زناتة الذي يدعوهم فيها إلى دخول الإسلام إبان الفتح الإسلامي للمغرب بقوله **((يا معشر زناتة أنتم أخواننا في النسب، فلم تخالفونا وتعينون علينا أعدائنا؟ أليس أبوكم بر بن قيس بن عيلان؟ قالوا: بلى ولكنكم معشر العرب تنكرون لنا ذلك وتدفعوننا عنه، فإذا أقررتم بالحق ورجعتم إليه فاشهدوا لنا به على أنفسكم))**[7] فوافقوا على ذلك وكتبوا الوثيقة الآتية **((بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد به أنجاد قيس لإخوانهم زناتة بن بر بن قيس بن عيلان، إنا أقررنا لكم وشهدنا على أنفسنا وعلى آبائنا وأجدادنا إنكم معشر زناتة من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فأنتم والحمد لله إخواننا نسباً واصلاً ترثوننا ونرثكم نجتمع في جد واحد، وهو قيس بن عيلان فلكم ما لنا وعليكم وما علينا))**[8].

ومن الأدلة الأخرى ما أورده ابن أبي زرع في رثاء تماضر بنت قيس أخاها بر بن قيس بن عيلان عند تركه بلده الأصلي الحجاز وانتقاله إلى ديار أخواله في فلسطين، بقولها:

وشطت ببر داره عن بلادنا وطوح بر نفسه حيث يما
وأزرت ببر لكنة أعجمية وما كان بر في الحجاز أعجما
وكأني وبراً لم نفر بحيادنا ينجو ولم نقسم نهابا ومغنما

وأنشدت تقول أيضاً:

لنبك كل باكية اخاها كما بكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فأضحى ودون لقائه انصاء عبس

واتضح اعتزاز زناتة بنسبها العربي على لسان شاعرها يزيد بن خالد الذي أنشد متفاخراً:

إليها السائل عن أحسابنا قيس بن عيلان بنو العز الأول
وبنو بر بن قيس من به تضرب الأمثال في كل أهل
ان نسبنا فبنو بر الندا طار الأزمة ناحر الإبل [9]

(1) أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (القاهرة- 1962)، ص226.
(2) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، جهرة أنساب العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت- 2003)، ص495.
(3) العبر، ج7، ص4.
(4) فتوح البلدان، ص226.
(5) جمهرة أنساب العرب، ص495.
(6)أحد قادة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب العربي، تولى ولاية المغرب في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، توفي بعد عزله. ينظر: ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن حبيب، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، (القاهرة- 1961)، ص200 ؛ زغلول، د. سعد، عبد الحميد تاريخ المغرب العربي، (الإسكندرية- 1969)، ج1، ص214.
(7) مجهول، الذخيرة السنية، ص13-14.
(8) المصدر نفسه، ص16 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص185.
(9) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص280 ؛ الملزوزي، نظم السلوك، ص98 ؛ ابن الأحمر، إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبعة الملكية، (الرباط- 1962)، ص3.

ومن الجدير بالذكر أن رواة تاريخ المغرب يتأسفون لما طرأ على زناتة من تبدل لسانها من العربية إلى البربرية، فالشاعر الملزوزي وقف مدافعاً عن أصالة وعروبة زناتة وتمسكها بالقيم والعادات والتقاليد العربية الأصيلة ونستشف من أرجوزته بهذا الخصوص أن ما طرأ على زناتة من تبدل لسانها إلى البربرية هو نتيجة تفاعلها اليومي مع البربر مع البربر وابتعادها عن القبائل العربية، فقال:

فجاورت زناتة البربرا فصيروا كلامهم كما ترى

وما بدل الدهر سوى أقوالهم ولم يبدل مقتضى أحوالهم

يتضح لنا من الروايات التاريخية التي أوردها الملزوزي[1] وابن أبي زرع[2] وصاحب الذخيرة السنية[3] تبدو مقبولة لتطابقها مع الدراسات الحديثة التي ربطت بين إنسان المشرق والمغرب من خلال عمليات الحفر والتنقيب في المواقع الاثرية والتي اظهرت تشابه بين الجماجم البشرية التي عثر عليها في لبنان والجزائر وجماجم اليمن وفلسطين التي يقدر عمرها آلاف السنين، كذلك التشابه بين الحفريات المستخرجة من المواقع الأثرية في الفيوم وفي مصر و مواقع إنسان العصر الحجري الحديث في المغرب[4].

لذلك كان المغرب العربي كان هدفاً لهجرت القبائل العربية من المشرق التي كونت نسيجاً اجتماعياً متيناً مع سكان البلد الأصليين من البربر مما ادى الى صعوبة احتفاظ القبائل العربية المهاجرة من المغرب بلغتها وعاداتها وتقاليدها، وبقي الحال كما هو عليه حتى دخول الإسلام إلى بلاد المغرب الذي ساهم وبشكل كبير في استنهاض قوميتها وجعلها تفصح عن نسبها الأصلي وهو النسب العربي الذي خص الله سبحانه وتعالى به العرب[5].

بطون زنـاتـة:

اولاً: بنـو يفرن

قسم المؤرخون البربر سكان المغرب إلى قسمين كبيرين: بربر البتر وبربر البرنس، كل منها يضم عدداً كبيراً من القبائل تنقسم بدورها على أفخاذ وبطون توزعت منازلهم على جميع أنحاء بلاد المغرب وبنو يفرن من أهم فروع قبيلة زناتة البترية[6]، فقد ذكر ابن حزم[7] الأندلسي أن بني يفرن ينتسبون إلى يفرن بنو يصلتين بن مصر بن زاكيا بن ورسيك بن الديريت بن شانا (وهو جانا أوزانا الذي نسبت إليه قبيلة زناتة) وينقسم بنو يفرن بدورهم إلى بطون وأفخاذ عدة أشهرها: بنو واركوا ومرنجيصة[8] وقد استقر بنو يفرن في مناطق عدة من بلاد المغرب فنزل قسم منهم في المنطقة الممتدة من غرب طرابلس حتى افريقية وتعرف في المصادر العربية (بوطن زناتة)[9] وهذه المنطقة يغلب عليها الطابع الجبلي، إذ توجد جبال دمر ونفوسة وغريان، كما تكثر الكهوف والمغاور في هذه الجبال[10].

ويشير ابن خلدون[11] إلى منازلهم في هذه المنطقة بقوله: "**وأما أفريقية كلها إلى طرابلس فبسائط فتح، كانت ديار النفراوة وبني يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر**".

(1) نظم السلوك، ص68.
(2) الأنيس المطرب، ص281.
(3) مجهول، ص15.
(4) السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون تاريخ المغرب العربي، (الموصل- 1988)، ص15-16.
(5) ابن خرداذبة، أبي القاسم عبدالله، المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- 1988)، ص84 ؛ ابن الفقيه، أبي بكر أحمد بن محمد الحمداني، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- 1988)، ص80.
(6) ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، (بيروت- 1980)، ج1، ص66؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص91.
(7) جمهرة أنساب العرب، ص498 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص5.
(8) ابن خلدون العبر، ج6، ص103.
(9) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص232؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص2.
(10) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: د. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد- 1986)، ص128.
(11) العبر، ج6، ص103.

واستقر بنو واركوا ومرنجيصة من بني يفرن في بلاد الجريد[1] وجبال الاوراس، كما استقرت طائفة من بني يفرن في منطقة الزاب وتوطنوا بها حتى أجلاهم العرب الهلالية عنها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فرحلوا إلى الصحراء الجنوبية، ونزلوا بواحة ورقلة (أو ورجلة أو ورجلان)، أما القسم الأعظم من بني يفرن فقد استقروا جنبا إلى جنب مع بقية قبائل زناتة في جنوبي وهران[2] وتلمسان[3] حتى جبل بني راشد من بلاد المغرب الأوسط وجاوروا قبائل مغراوة ومغيلة ومديونة وجراوة وكلها من زناتة[4].

ضلاً عن ذلك استوطن قسم منهم في المغرب الأقصى وبالتحديد في منطقة سلا[5] على المحيط الأطلسي وذلك في القرن الرابع الهجري وقد أقام بنو يفرن في مدينة سلا إمارة لهم كان لها شأن عظيم في بسط سيادة قبيلة يفرن في مناطق المغرب الأقصى، وكذلك في مناطق المغرب الأوسط في تلمسان ومناطق عدة من المغرب[6].

ثانيا:- مغراوة

يعد المغرب الأوسط الموطن الأصلي لمغراوة وكانت هذه المنطقة تحت سيطرة قبيلة مغراوة الزناتية قبل مجيء الإسلام، كان زعيمها صولات بن وزمار ومن معه من أهل مغراوة قد أقروا بالولاء إلى الخليفة عثمان بن عفان الذي أقر حكم صولات على المناطق التي كان يسيطر عليها[7]، وازداد نفوذ زناتة بالمغرب الأوسط في عهد خزر بن حفص[8] الذي استطاع أن يمد نفوذه إلى تاهرت وبلاد القبلة وبقي في المغرب تحت نفوذ وسيطرة مغراوة حتى نهاية العهد الأموي[9].

وقد شهد المغرب قيام كيانات مستقلة فيه في ظل الحكم العباسي وسيطرة الخوارج على مناطق عدة منه، بينما حافظت مغراوة على مناطق نفوذها بالمغرب الأوسط بالتعاون مع الدولة الرستمية للوقوف بوجه خطر الدولة العباسية وبقي الحال كمها هو عليه حتى سقوط الدولة الرستمية في تاهرت[10] سنة 297هـ، إذ برزت مغراوة كقوة لا يستهان بها وقفت ضد الدولة الفاطمية وظلت تقاومها لمدة ليست بالقصيرة وامتد نفوذ المغراويين في المغرب الأقصى في عهد بني خزر المغروايين[11]. استطاعت ان تقيم كيان سياسي لها في مدينة فاس على حساب نفوذ الفاطميين.

(1) بلاد الجريد: من خلال اطلاعنا على المصادر لم نجد مايشير الى تلك البلاد

(2) وهران:_ مدينة ساحلية بالمغرب الاوسط على ضفة البحر بناها جماعة من الاندلسيين البحريين، وهي في غاية المناعة، عليها سور، وفيها بساتين وجنات عدة، وبها من الفواكة الكثيرة والثمار، وتعد فرضة الاندلس، ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص79، البكري، المغرب، ص70_71، الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص252، مؤلف مجهول، الاستبصار، ص133_134

(3) تلمسان:مدينة وصفها الجغرافيون بانها قاعدة المغرب الاوسط وهي دار مملكة زناتة حيث يسكن حولها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر، وكانت كثيرة الخصب والرخاء. ينظر:_ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر البارون دي سلان، (الجزائر- 1911)، ص142؛ الحميري، الروضة المعطار، ص135

(4) البكري، المغرب، ص142؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص7 ؛ الميلي، محمد، تاريخ الجزائر القديم والحديث، (الجزائر- 1963)، ج2، ص174.

(5) سلا: مدينة أزلية تقع على ساحل البحر المحيط، وتبعد عن مراكش عدة أميال. ينظر: مجهول، الاستبصار، ص140-141؛ الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم السبتي، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. احسان عباس، (بيروت- 1975)، ص219.

(6) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص217.

(7) ابن خلدون، العبر، ج7، ص29-30.

(8) خزر بن حفص: هو خزر بن حفص بن صولات بن وزمار المغراوي وهو أمير مغراوة، حكم مدينة وهران ضمن سلطة الدولة الأموية في الاندلس. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص496 ؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص19.

(9) ابن الخطيب، لسان الدين بن محمد بن عبدالله التلمساني، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، أعمال الأعلام، تحقيق: د. احمد مختار العبادي، (الدار البيضاء - 1964)، ص154-155 ؛ سوادي، عبد محمد، دراسات في تاريخ المغرب العربي، د.ط، (البصرة- 1989)، ص143 وما بعدها.

(10) تاهرت: مدينة مغربية كانت عاصمة دولة الرستميين الخوارج، بناها مؤسس هذه الدولة عبد الرحمن بن رستم منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وتعرف بتاهرت الجديدة أو السفلى تميزاً لتاهرت القديمة أو العليا التي كانت تبعد عنها خمسة أميال. ينظر: البكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت- 2003)، ج2، ص52.

(11) المقريزي، أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر، منشورات محمد علي بيضون، (بيروت- 2001)، ص147.

ثالثا:- بني خزرون:

بطن من بطون قبيلة مغراوة الزناتية، تركز سكنهم في مناطق المغرب الأوسط في تلمسان وغيرها من المناطق الأخرى[1]، يعود أصلهم إلى جدهم الأعلى (وزمار بن صقلاب المغراوي)[2] وبعد وفاته تولى من بعده حفص الزعامة، وكان من أعظم أمرائهم، وقد كان بني خزرون قد استوطنوا في سلجماسة عندما استولى خزرون بن فلفل على المدينة بعد إسقاط دولة بني مدرار[3] المكناسيين وقتل آخر ملوكهم المعتز بالله سنة (367هـ/977م)[4]. ومنذ ذلك الحين أعطى بني خزرون المغراويين ولاءهم لبني أمية وساندوا الخلافة الأموية في الأندلس في عهد الخليفة هشام المؤيد سنة (366-399هـ/976-1008م)[5] وحاجبه زيري بن عطية

إسلام زناتة:

بعد أن علم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بخبر مقتل زهير بن القيس عظم عليه الأمر خاصة وان الدولة الأموية كانت تشهد العديد من الثورات الداخلية ومنها ثورة ابن الزبير[6]، فأضاف للخلافة جرح نازف وأزمة أخرى مما يستوجب المبادرة لإيجاد حل لها وبعد مقتل ابن الزبير في مكة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي رأى الخليفة ان يسير جيشاً إلى المغرب بقيادة حسان بن النعمان الغساني الذي كان بمصر عندما قتل زهير، وأمره عبد الملك بغزو افريقية، فخرج في أربعين ألف مقاتل ولم يدخل أحدا من الأمراء قبله افريقية بمثل هذا الجيش، فبدأ بالتضييق على قرطاجنة إلى ان تغلب عليها وتمكن من دخولها عنوة وهدمها حتى لا يتحصنون بها[7]. لم يبق لحسان بعد ذلك سوى التفرغ للقضاء على أقوى جيب للمقاومة في المغرب كله وهو جبل أوراس، وقد رأى ان التحالف بين قبائل الاوراس وبقايا الروم قد تعاظم هذا الحلف بعد مقتل عقبة بن نافع[8]. فلم ينتظر حسان طويلاً حتى سير جيشاً للقاء الكاهنة قد برر ابن الاثير[9]سبب قيام هذه الحملة بانها رداً غضباً لقتل كسيلة ونظراً لما تتمتع به الكاهنة من قوة ونفوذ بين البربر فقد ادرك حسان ابن النعمان بان نفوذه في بلاد المغرب لا يستتب دون القضاء على نفوذ هذه المرأة لان بمقتلها تضعف معنويات البربر وتنتهي احلامهم بإقامة كيان سياسي لهم بالمنطقة[10].

ولاشك ان حسان بن النعمان لم يغفل التجارب السابقة للفاتحين الذين سبقوه فقد علم باستشهاد عقبة وزهير على يد البربر والروم وأدرك حجم التحدي الذي يواجهه لذلك فقد توجه إلى اكبر قوة معادية تحول دون تمكين العرب من إرساء قواعد الفتح عندما سأل عن امرأة وعرف مكانتها بين قومها وخاصة البربر فأراد ان يجعلها مستقرة بجبل الاوراس علمت

(1) مجهول، الاستبصار وعجائب الأمصار، ص110.

(2) وزمار بن صقلاب المغراوي: أمير قبيلة مغراوة وسائر قبيلة زناتة وهو أول من اسلم من أمراء البربر حيث أسرة الفاتح عبدالله بن أبي سرح وبعدما اسلم على يديه بعث به إلى المدينة لملاقاة الخليفة عثمان بن عفان فجدد إسلامه على يديه وقد عقد عثمان له الامارة على قومه وبلاده وبقيت مدينة وهران تحت حكم أمراء مغراوة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص172.

(3) دولة بني مدرار: وهي الدولة التي قامت في مدينة سجلماسة وبنو مدرار من بين بطون مكناسة وكانوا قد حكموا سجلماسة بعد مقتل أول حاكم صفري، عيسى بن يزيد. ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص132 ؛ البكري، المغرب، ص138.

(4) ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، د.ط، دار صادر، (بيروت- 1966م)، ج7، ص361 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

(5) هشام المؤيد:- حكم بين سنتي 366-403 ه / وحجر عليه الحاجب المنصورلما استولى على مقاليد الحكم، ينظر: ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان محمد القرطبي، المقتبس من ابناء اهل الاندلس تحقيق: محمود علي مكي، لجنة احياء التراث الاسلامي (القاهرة 1994)ص96، ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص258-272.

(6) ابن الزبير: هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد من بني اسد كناه الرسول ﷺ باسم جده أبي بكر الصديق وسماه باسمه، أمه أسماء بنت أبي بكر كان أول مولود للمسلمين في المدينة، بويع بالخلافة سنة أربع وستين أو خمس وستين، بعد موت معاوية بن يزيد واجتمع على طاعته الحجاز واليمن العراق وخراسان، قتل سنة ثلاث وسبعين في أيام عبد الملك وتم قتله على يد الحجاج بن يوسف الثقفي. ينظر: ابن خياط، أبو عمرو خليفة، تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: أكرم العمري، (بغداد- 1967م)، ص406.

(7) ابن الابار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج2، ص331؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص6.

(8) عقبة بن نافع الفهري: عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القرشي، ولد في اوائل الهجرة النبوية الشريفة، تولى ولاية افريقيا مرتين، الاولى:- كانت بين سنة 50 ه/670م الى سنة 55ه/674م، والثانية:-من سنة 62-64 ه/682-685م. ينظر: الطبري، اب جعفر محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت-1986)، ج3، ص210؛ ابن عساكر، ابي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابي سعيد العمري، دار الفكر، (بيروت -1995)، ج4، ص535.

(9) الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ص65.

(10) المصدر نفسه، ص65.

الكاهنة بما كان حسان يريد ان يقوم به فزحفت إليه بقوات من جبل الاوراس ونزلت مدينة باغية فأخرجت من كان بداخلها وهدمت حصونها لما بلغ حسان خبر ما صنعت الكاهنة سار إلى وادي مسكيانة[1] ودارت معركة بين الطرفين أدت إلى انهزام جيش حسان وتمكنت الكاهنة من قتل الكثير من العرب المسلمين، وأسرت ثمانين رجلاً من أعيان المسلمين[2]، وأكرمتهم وأطلقت سراحهم إلا واحداً يدعى خالد بن يزيد القيسي[3] الذي اتخذته ولداً ومستشاراً وسمي المكان بوادي العذاري[4]. وقد واصلت الكاهنة ملاحقة العرب حتى أخرجتهم ولحق حسان ببرقة حيث مكث هناك في قصور سميت بعد ذلك بقصور حسان[5] ثم كتب إلى عبد الملك بن مروان بما نزل من البلاد على المسلمين طالباً المشورة والمدد[6]، التف البربر حول الكاهنة بعد الانتصار الذي أحرزته على العرب وكان اغلب الذين التفوا حولها من زناتة، ومجموعة من القبائل البربرية وبقايا الروم الذين استوطنوا المنطقة وامتلكوا إقطاعيات كبيرة ولذلك تقاطعت مصالح البربر والروم وبذلك بسطت الكاهنة سيطرتها على المغرب كله بعد هزيمتها لحسان لذلك فقد كانت معاملتها للمسلمين الذين لم يغادروا حسنة وكذلك قامت الكاهنة بتخريب افريقية حتى لا يعاود العرب الرجوع إلى المغرب وقد قالت لقومها " **ان العرب إنما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نريد المزارع والمراعي فلا نرى لكم إلا خراب بلاد افريقية كلها، حتى يئس العرب في أن يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر**"[7] فعمل أتباعها على تخريب العديد من المدن والحصون وقطع الأشجار، لذلك قام حسان باستغلال هذا الموقف ولم يتأخر بالاتصال بأسير الكاهنة خالد بن يزيد القيسي من أجل جمع المعلومات لمعرفة مواطن القوة والضعف في جيش الكاهنة، فقام حسان بإعداد حملة من أجل القضاء على الكاهنة ومن معها من البربر لذلك قامت الكاهنة بالانسحاب إلى جبل الأوراس للاحتماء به كما فعل من قبل كسيلة عندما واجه زهير إذ لجأ الى منطقة الجبال بعدها منطقة حصينة يمكن للثوار الاحتماء بها ويذهب الرقيق[8] إلى القول بأن الكاهنة عندما بلغها قدوم حسان **((رحلت من جبل أوراس تريده في خلق عظيم))**[9] وقبل اللقاء الحاسم ادركت المرأة بفراستها ان نهايتها باتت وشيكة، ولاسيما عندما انقلب الروم والبربر عليها فأخبرت ولديها وخالد بن يزيد بأنها لاشك مقتولة، وأعلمتهم بأن رأسها رأته مقطوعاً بين يدي ملك العرب[10] وهنا تتضح السياسة التي سلكتها الكاهنة في تبني خالد عندما قالت لخالد: **((إلي إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم، أنا مقتولة، فأوصيك بأخويك هذين خيراً))**[11].

التحم الجيشان واشتد القتال بينهما وبعد طول صبر تمكن المسلمون من هزيمة البربر وتبع حسان الكاهنة التي انسحبت حتى نزلت الموقع الذي قتلت فيه هي ومن معها من البربر، وبمقتل الكاهنة انتهت كل مقاومة للبربر وأصبحت المنطقة كلها للمسلمين وسائر المناطق الأخرى، وكذلك اندفعت القبائل من البربر إلى اعتناق الإسلام، ثم تحول سكانها فيما بعد إلى مذهب الخوارج في المغرب الأقصى[12].

يقول ابن خلدون[13] بعد انتصار حسان على الكاهنة:" **استأمن إليه البربر على الإسلام والطاعة، على أن يكون منهم اثنا عشر ألف مجاهد معه، فأجابوه واسلموا وحسن وإسلامهم وعقد للكبير من ولد الكهانة على قومهم من جراوة**

(1) مسكيانة: وهي قرية على نهر تقع في الطريق بين باغية ومجانة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ص145.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص36.
(3)خالد بن يزيد:هو احد المسلمين الذين وقعوا باسر الكاهنة من جيش حسان بن نعمان الغساني، فقامت بتبنيه ولداً لها، ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص228 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص32.
(4) الرقيق القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، (تونس- 1967)، ص25.
(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص213؛ الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف أفريقيا، ترجمة: د.محمد حجي ومحمد الأخضر، ط1، مطبعة وراقة البلاد، (الرباط- 1982)، ج2، ص112.
(6) الحميري، الروض المعطار، ص65.
(7) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص36.
(8) تاريخ افريقية والمغرب، ص388.
(9) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص37 ؛ فروخ، عمر، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت- 1981)، ص70-71.
(10) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص229.
(11) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص390.
(12) ابن خلدون العبر، ج6، ص129 ؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، كتاب المقتفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، (بيروت- 1991)، ج3، ص288.
(13)العبر، ج6، ص128.

وعلى جبل الأوراس فقالوا: لزمنا الطاعة له سبقناها إليها وبايعناه عليها "، ومع هزيمة الكاهنة وخضوع تلك المناطق للمسلمين تبدأ القبائل البربرية مهمة جديدة تتمثل في مشاركتهم في نشر الإسلام في المغرب أسوة بالعرب الفاتحين بعدما حاربوه نيفاً وخمسون سنة، وبذلك كانت السياسة المعتدلة التي اتبعها حسان في المساواة بين البربر و العرب في الفيء، وتحميلهم مسؤولية المشاركة في قيادة الجيوش الإسلامية قد أتت ثمارها في استقرار الإسلام ومنذ ذلك الوقت استقر العرب في مناطق المغرب كما بدأ الإسلام في اكتساب مؤمنين جدد، ولما استقام الأمر لحسان وخضعت له جموع قبائل زناتة ورجع إلى عبد الملك في دمشق[1] ثم عزل عن الولاية فخلفه موسى بن نصير الذي قام بتدعيم المكاسب التي حققها حسان بن النعمان، فقام بغارات عدة استهدفت القبائل مثل زناتة وكتامة وصنهاجة لمنعها من الرجوع إلى مقاومة المسلمين ولهذا فقد انتشر الإسلام في ربوع المغرب العربي.

المبحث الثاني

سياسة التعسف الأموية وأثرها في انتفاضة زناتة

وانضمامها للخوارج الصفرية

لم يكن الوضع السياسي في المغرب العربي مرضياً للقبائل المغربية التي اعتادت على الاستقلال وعدم الخضوع لأي سلطة مركزية بحكم ان القبائل المغربية وبالتحديد القبائل البربرية البترية كانت قبائل بدوية متنقلة لم تعتاد الخضوع لسلطة مركزية فضلاً عن ذلك فإن الدولة الاموية لم تستخدم سياسة تقوم على مدارات هذه القبائل لضمان ولائها بل لجأت بدل من ذلك الى استخدام سياسة الترهيب ضدها من خلال إرهاقها بالضرائب[2].

لذلك تذمر البربر من السياسة التعسفية للولاة الامويون وأرادوا ان يطلعوا على حقيقة الامر لذلك ارسلوا وفداً الى العاصمة دمشق لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك للاطلاع على حقيقة الامور لكن الخليفة رفض مقابلتهم إذ منعهم كاتبه وحاجبه (الأبرش)[3] عند ذلك تركوا له شكوى من عدة نقاط يقدمها للخليفة[4]. ومن المؤكد أن الوفد كان بليغاً في التعبير عن الأوضاع التي آل إليها المغرب وعبر بطريقة واضحة عن مطالب أهله وخاطب أعضاؤه الحاجب الأبرش خطاباً يحمل الكثير من الأسى والألم من جرّاء ما اعتاد الولاة على اقترافه في حق المغاربة، وممّا جاء في الشكوى التي قدمها الوفد: **((ابلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نقلهم دوننا وقل: هم أحق به فقلنا هو أخلص بجهادنا لأنا لا نأخذ منه شيئاً أن كان لنا فهم منه في حل وان لم يكن لنا لم نرده وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا وأخر جنده فقلنا: تقدموا فانه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى إخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم، ثم انهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك، ثم انهم ساومونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأجبنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين))**[5].

وبذلك تولدت قناعة عند البربر من زناتة وغيرها ان ما يقوم به الولاة في المغرب هو بمباركة الخلافة الاموية في دمشق[6]، ومن الجدير بالذكر أن القبائل المغربية وعلى رأسها زناتة قد تأثرت بفكر الخوارج المناهض للدولة الأموية ومما زاد في تقبل هذه القبائل للفكر الخارجي هو انسجام هذا الفكر مع النزعة الاستقلالية للبربر,لاسيما اذ ما علمنا بأ الخوارج لا تؤمن بأحقية قريش بالخلافة وانما الخليفة عندهم هو الشخص الاصلح ول كان عبداً حبشياً. وبذلك فأن رأي الخوارج بمسألة الخلافة يتماشى مع تطلعات البربر بالاستقلال واقامة كيانات سياسية خاصة بهم. وعندما نطلع بعين الموضوعية على السياسة التي اتبعتها الدولة الأموية بشكل خاص ومن بعدها الدولة العباسية في بلاد المغرب وهي السياسة التي ابتعدت كثيراً عن القيم الحقيقية والمبادئ النبيلة للدين الإسلامي، ومن خلال ملاحظة مجريات أحداث بلاد المغرب في هذه

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص277؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص41.
(2) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس، ص90.
(3)الابرش: من خلال اطلاعنا على المصادر التاريخية لم نجد اي معلومات سوى الاسم وليس هنا اي معلومة تخص الحاجب الابرش.
(4) الفيلالي، عبد العزيز، العلاقات السياسة بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار النشر والتوزيع، (القاهرة- 1975)، ص54.
(5) ابن خلدون، العبر، ج6، ص182 ؛ الفيلالي، عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص54.
(6) ابن خلدون، العبر، ج6، ص182.

المدة وقبلها نكون قد أدركنا باليقين المطلق ان المغاربة لن يتركوا هذه الأحداث تمر من دون أن يعبروا عن رأيهم وموقفهم تعبيراً ثورياً إيجابياً كما كان شأنهم دائماً، فقد رأينا لمحات من ثوراتهم على تعسف البيزنطيين والرومان ثم ردهم على تجاوزات بعض قادة الفتح وهو الرد الذي عبر عنه كل من كسيلة و الكاهنة، أما في عصر الولاة فقد كانت بوادر الثورة تلوح في الأفق على أن الاندلاع الحقيقي للثورة كان في ولاية عبيد الله بن الحباب[1] نتيجة الضغط الكبير الذي مارسه هذا الوالي في سياسته تجاه المغاربة الذين ضاقوا من السياسة التي تكفل بها[2].

ونتيجة لعدم استجابة الخليفة هشام بن عبد الملك لمطالبهم كانت انتفاضتهم سريعة وخاطفة استطاعوا من خلالها ان يحكموا قبضتهم على المنطقة في مدة زمنية محدودة وأزالوا مظاهر الحكم الاموي منها وبرز بذلك اسم ميسرة المطغري[3] واصحابه في سماء المعارضة المسلحة ضد السلطة المركزية المتهمة بالظلم الجور وبذلك أعلن البربر وعلى رأسهم قبيلة زناتة الثورة بقيادة ميسرة المطغري على الدولة الأموية[4].

زحف ميسرة بجموع من زناتة الى طنجة وقتل حاكمها عمر بن عبدالله المرادي[5] وسيطروا على المدينة وتمت له السيطرة على المغرب الاقصى واقتطاعه عن نفوذ الدولة الاموية وقد بادر عبيد الله بن الحباب بمواجهة خطر الزناتيين فبعث بما لديه من جند بقيادة خالد بن حبيب الفهري ليحول دون وصول ميسرة الى القيروان كما اسرع في استدعاء حبيب بن أبي عبيدة وجيشه الذي كان قد بعثها الى صقلية[6] ليشارك خالد بن حبيب الفهري في القضاء على المتمردين في طنجة وعندما سمع ميسرة خرج هو وأتباعه عن بالقرب من تاهرت واقتتل خالد و ميسرة قتالاً شديداً, بعد ذلك انسحب ميسرة إلى طنجة من دون أسباب والمرجح انه هزم في هذه المعركة ليقوم بعد ذلك أتباعه بعزله من منصبه بوصفه خليفة[7]. ممّا يدعم هذا الرأي هو تنصيبهم لخالد بن حميد الزناتي خليفة لهم بعده واسناد قيادة الجيش له[8]، فقام خالد بن حميد الزناتي بعد ذلك بتولي قيادة جموع زناته وقد اخذ على عاتقه التصدي للدولة الاموية وجيشها فقسم جيشه قسمين واجه احدهما جيش خالد بن حبيب الفهري[9] بينما قام القسم الاخر من الجيش بحركة التفاف من خلفه ليعوق اتصاله بجيش حبيب بن أبي عبيدة وبذلك منع جيش خالد بن حبيب الفهري من الهرب والذي لم يستطع الصمود وقتل مع عدد كبير من جيشه بغزوة الاشراف [10]كما ان عامل الأندلس عقبة بن الحجاج أسرع بمساعدة والي المغرب بالقضاء على التمرد وذلك

(1) عبيد الله بن الحباب: هو مولى بني سلول، كان والياً على خراج مصر، تولى ولاية المغرب والأندلس سنة 116-123هـ/734-740م في عصر الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان. ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص363 ؛ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، دار النشر للجامعية، (بيروت-1957)، ص40.

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص128.

(3) ميسرة المطغري:اختلفت الروايات في اصله فقيل انه عربي ينتمي لقبيلة الازد، بينما اكدت مصادر اخرى انتماءه الى قبيلة مطغرة البربرية و التي تمتد مواطنها من جنوب سجلماسة إلى تلسمان وهي بقرب زناتة، كما اختلف ايضاً حول لقب ميسرة فقيل ميسرة الحقير او الفقير كما عرف عنه اشتغاله بسوق السقاية بالقيروان ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا والمغرب، ص112؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص184؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص181.

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص182 ؛ الفيلالي، عبد العزيز، العلاقات السياسية، ص54.

(5) عمر بن عبد الله المرادي: عامل على مدينة طنجة اساء السيرة وكان السبب في اعلان البربر الثورة وقيام ميسرة بالثورة ضد الحكم الاموي. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص332.

(6) صقلية:جزيرة تقع في حوض البحر المتوسط والى الجنوب من ايطاليا، اذ لا يفصلها عنها سوى مضيق صغير، تبعد عن افريقيا بنحو (165كم) وهي جزيرة مثلثة الاضلاع. ينظر: الادريسي، ابو عبد الله محمد الشريف السبتي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق: مجموعة من العلماء، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة- د.ت)، ج2، ص591؛ مجهول، الاستبصار، ص142.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص55.

(8) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص142 ؛ طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، 2004، ص359.

(9) خالد بن حبيب الفهري: والي افريقيا من عام127ه وحتى وفاته عام 137ه، ارسله عبيد اله ابن الحباب لقتل الصفرية. ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص224؛ السلاوي، الاستقصا، ج1، ص53-54.

(10) غزوة الأشراف: معركة جرت في طنجة بين العرب المسلمين بقيادة عبيد الله بن الحباب والبربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي سنة 123هـ/741م وانتهت بانتصار البربر. ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأفريقيا، ص217-218 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص191؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص53 ؛ السلاوي، أبو الحسن أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1954، ص105-109.

بعد طلب منه[1]، ولكن هذه الرواية بعيدة الاحتمال لان أحوال الأندلس آنذاك لم تكن أحسن من أحوال المغرب اذ شهدت استبدال الكثير من الولاة بسبب حالة عدم الاستقرار في البلاد المذكورة[2].

بعد ذلك اصدر الخليفة هشام بن عبد الملك (105- 125هـ/724-743م) قراراً بعزل عبدالله بن الحباب (123هـ/740م) وتعيين كلثوم بن عياض[3] قائداً للجيش الضخم الذي توجه الى المغرب فإن قتل يتولى بلج بن بشر القشيري[4] قيادة الجيش من بعده وفي أثناء مسيرته انضم إلى جيشه جند من مصر وافريقية فسار بهم جميعاً إلى طنجة حيث التقاهم جموع الزناتيين عند قرية بقدورة الواقعة على نهر سبو فدارت معركة كبيرة قتل فيها القائد كلثوم وهزم الجيش العربي، اما بلج بن بشر فقد تمكن من الفرار بعد ذلك هو ومن بقي معه من الجيش نحو طنجة وعادت فلول الجيش المهزوم الى افريقية بعد هزيمته امام جموع زناتة[5].

لم يقتصر دور زناتة على مساندة ثورة الخوارج الصفرية بقيادة ميسرة باشتراكهم بالمعارك فحسب فضلاً عن قيادة خالد بن حميد الزناتي للبربر بعد عزل ميسرة وتحقيقه النصر على ولاة الدولة الاموية وانما تعد الامر ايضاً الى الدور الكبير الذي لعبته قبيلة بنو يفرن الزناتية في مساندة ثورات الخوارج الصفرية في المغربي الاوسط والادنى بقيادة ابي قرة اليفرن[6]، إذ من المرجح ان الزناتيين شاركوا إخوانهم صفرية المغرب الأقصى في ثوراتهم ضد السيادة الأموية، واشتركوا معهم في معركتي الأشراف (123هـ/740م) وبقدورة (124هـ/741م)، وعلى الرغم من ان المصادر لم تشر صراحة إلى اشتراك بني يفرن في هاتين المعركتين، إلا ان منطق الأحداث يدعونا إلى الاعتقاد بانضمامهم إلى جانب صفرية المغرب الأقصى حيث عملوا تحت قيادة خالد بن حميد الزناتي[7]، كما ان أبا قرة اليفريني[8] هو الذي تولى رئاسة صفرية زناتة عقب وفاة خالد بن حميد الزناتي، كذلك شارك أبو قرة اليفريني إلى جانب عبد الواحد بن يزيد الهواري في حصار مدينة القيروان عام (125هـ/743م) وأسندت إليه قيادة الجيش في معركة الأصنام التي أوقع فيها حنظلة بن صفوان[9] والي المغرب بالبربر الصفرية وهزمهم، فر على أثرها أبو قرة اليفريني مع فلول أصحابه إلى تلمسان حيث أقام انتظارا لفرصة مواتية يشن فيها هجوماً على العرب، مما لا شك فيه ان وقعة الأصنام حسمت الموقف لصالح العرب وحالت دون سقوط افريقية في أيدي الخوارج الصفرية، ومع ذلك فقد بدا واضحاً ان هؤلاء الصفرية يشكلون خطراً كبيراً على السيادة العربية في المغرب ولهذا السبب حرص كل من تقلد ولاية افريقية على محاربتهم، بيد ان الظروف السياسية المضطربة التي مرت بها بلاد المغرب أبان الفترة الأخيرة من حكم الأمويين وبداية عصر العباسيين، هيأت المجال للبربر لمواصلة شن هجماتهم على العرب، فقد انتهز أبو قرة اليفريني فرصة استيلاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري (أحد أحفاد عقبة بن نافع الفهري) على القيروان عام (129هـ/746م)، وإقدامه على طرد حنظلة بن صفوان والي افريقية الشرعي، وثار ابو قرة اليفرني وجموع بني يفرن الزناتيين في تلمسان ولم يتمكن عبد الرحمن بن حبيب من القضاء على هذه الثورة إلا عام (135هـ/752م)

(1) طه، الفتح والاستقرار، ص359.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص55.
(3) كلثوم بن عياض:هو قائد بالدولة الاموية ولي دمشق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، كما ارسله الخليفة الاموي لقمع ثورة البربر بالمغرب وقتل سنة 123ه.ينظر:ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص224؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص124.
(4) بلج بن بشر القشيري: نسبة لقبيلة قشير من قبائل قيس عيلان، قام بقيادة الجيش الاموي بعد مقتل عمه كلثوم وانهزم الجيش الاموي على يد البربر.ينظر:ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص120؛ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص65
(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص56 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص193، ص250- 251.
(6) ابن خلدون، العبر، ج7، ص12 ؛ إسماعيل، محمود، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، القاهرة، 1986، ص77.
(7) خالد بن حميد الزناتي: وهوالقائد الذي تولى امر البربر من قبيلة زناتة بعد مقتل ميسرة المطغري، وكان قد التقى جيش خالد بن حبيب واستطاع هزيمته هو وجيشه ومن ثم قتله في المعركة.ينظر:الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ج1، ص66؛ ابن عذارى البيان المغرب، ج1، ص56.
(8) ابو قرة اليفرني:شيخ قبيلة بني يفرن البربرية، تولى امر الخوارج الصفرية سنة 148ه/866م واعلنة نفسه اميرا على مدينة تلمسان، وكان قد هرب من امام الوالي العباسي على المغرب يزيد بن حاتم سنة 151ه/870 م، اذ تفرق جمعه. ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية و المغرب، ص105؛ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، ص106.
(9) حنظلة بن صفوان: وهو العامل الذي ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك على مصر في سنة تسع عشرة ومائة، قاد جموع قبائل البربر في المغرب وكان قد تغلب عليهم ورجع بعد ذلك إلى الشرق الإسلامي. ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص124 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص118 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص62.

وعندما ألحق هزيمة ساحقة بأبي قرة وجموع اليفرنيين[1]، ولكن هذه الهزيمة لم تحل دون استمرار الزناتيين من بني يفرن في ثوراتهم ضد العرب فتحالف عبد الملك بن أبي الجعد اليفريني احد زعماء بني يفرن مع عاصم بن جميل[2] زعيم قبيلة ورفجومة الصفرية واشتركا سوياً في مهاجمة القيروان عام (139هـ/756م) وتمكنا من الاستيلاء عليها، ولما اضطر عاصم بن جميل الخروج بقواته لتتبع حبيب بن عبد الرحمن الفهري[3] بنواحي قابس[4] وجبل الاوراس استخلف على القيروان عبد الملك اليفرني، ثم تولى عبد الملك بن أبي الجعد اليفرني[5] زعامة صفرية افريقية عقب مصرع عاصم بن جميل وفي مدة رئاسته للصفرية ارتكب العديد من الجرائم والفضائع ضد أهل القيروان الأمر الذي أثار سخط الخوارج الاباضية بطرابلس، وفي تلك الاثناء كان محمد بن الاشعث يوطد نفوذ الخلافة العباسية في افريقية حيث اسند إليه المنصور مهمة القضاء على ثورات الخوارج سواء من الصفرية أو الاباضية وذلك عام (144هـ/761م)، وعلى الرغم من النجاح الذي حققه ابن الأشعث الخزاعي[6] في هذا المجال، إلا انه لم يمكث طويلاً بافريقية إذ ثار عليه بعض قواد جيشه وأرغم في نهاية الأمر على اعتزال الولاية وذلك عام (148هـ/765م)[7].

استغل بنو يفرن الزناتيين فرصة اضطراب جند العباسيين بافريقية وانقسامهم وبايعوا أبا قرة اليفرني إماماً عليهم عام (148هـ/765م) ثم خرجوا في حشود هائلة نحو القيروان في عام (150هـ/767م) بغية القضاء على الحكم العباسي وآثر الأغلب بني سالم التميمي والي افريقية الجديد ان يخرج بقواته لمواجهة هذا الخطر وزحف بهذه القوات إلى الزاب فاضطر أبو قرة إلى الانسحاب غرباً إلى تلمسان وفي شهر صفر عام (141هـ/758م) دارت معركة ضارية على مقربة من القيروان بين الاباضية والصفرية، لقى فيها عبد الملك اليفرني مصرعه، وانتهت بانتصار ساحق أحرزه الاباضية على الصفرية وقتل عدد كبير منهم[8].

نتيجة للهزيمة التي لحقت ببني يفرن الزناتيين والصفرية، اضطر أبو قرة اليفرني إلى الاستقرار في موضع يقع قريباً من مدينة تلمسان[9] أخذ في تمصيرها وتعميرها وحاطها بسور منيع[10]، واتخذ من هذا الموضع قاعدة لإمارة صفرية مستقلة في تلمسان اتسع نطاقها مع مضي الزمن، إذ تمكن من ضم صفرية المغرب الأدنى إلى جانبه بالإضافة إلى قبيلة مغيلة وكذلك الشريط الساحلي الغربي الممتد من المغرب الأوسط حتى المنطقة التي تلي تامسنا بالمغرب الأقصى[11].

وأثار قيام إمارة صفرية بالمغرب الأوسط قلق الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136–145هـ/753–762م) الذي كان يدرك تماماً ان هؤلاء الصفرية يتأهبون لجولة تالية مع عرب افريقية، فأرسل جيشاً عدته أربعون ألف مقاتل وثمانية وعشرين قائداً يتقدمهم محمد بن الأشعث الخزاعي والذي اسند قيادة الجيش الى احد رجاله وهو الاغلب بن سالم

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج2، ص411 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص61.
(2) عاصم بن جميل: من الخوارج الصفرية، ادعى النبوة والكهانة، وزاد في الصلاة واسقط ذكر النبي محمد(ص) استولى على القيروان سنة 138ه، ثم سار لقتال حبيب بن عبد الرحمن الفهري في جبل الاوراس فأنتصر عليه. انظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص124؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص118؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص62
(3) حبيب بن عبد الرحمن الفهري: هو احد أبناء عبد الرحمن بن حبيب الفهري مؤسس إمارة الفهريين في افريقية، والتي دام سلطانها من عام 129هـ حتى عام 140هـ، ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص123 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص116؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص60 ؛ زغلول، سعد، تاريخي المغرب العربي، ج1، ص313- 339.
(4) قابس: مدينة حصينة من بلاد الجريد في افريقية تمتاز بكثرة بساتينها وثمارها وتبعد عن البحر ثلاث أميال. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص416.
(5) عبد الملك بن ابي الجعد اليفرني: وهو من الخوارج الصفرية ولي امرهم، قتل حبيب بن عبد الرحمن الفهري، وقامة بالاستيلاء على القيروان كما استولى على افريقية ايضا. انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص364؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص114.
(6) ابن الاشعث الخزاعي هو محمد بن الاشعث الخزاعي، والي عباسي تنقل بين الولايات الاسلامية، تولى مصر سنة141ه/759م، ارسله الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور لولاية افريقية و المغرب سنة144ه/761م، لمحاربة الخوارج، توفية اثناء غزوه لبلاد الروم. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص503؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص277؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص7؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت-1997م)، ج6، ص39
(7) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص73 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص114.
(8) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص70-71 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص162.
(9) تلمسان: مدينة وصفها الجغرافيون بأنها قاعدة المغرب الأوسط وهي دار مملكة زناتة حيث يسكن حولها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر، وكانت كثيرة الخصب والرخاء. ينظر: البكري، المغرب، ص76 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص135.
(10) البكري، المغرب، ص76- 77.
(11) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، (الرباط- 1934م)، ص49؛ إسماعيل، محمود، الخوارج في المغرب الإسلامي، ص77.

التميمي[1] لملاقاة ابي قرة اليفرني، وكيفما كان الأمر فإن الأغلب أراد الاندفاع وراء أبي قرة اليفرني بغية القضاء على الصفرية في عقر دارهم سواء في تلمسان أو في طنجة[2]، ولكن قادة جيشه اعترضوا على ذلك وقالوا له "**قد هرب أبو قرة الذي خرجنا إليه**" وأخذوا يتسللون من معسكره عائدين إلى القيروان ولم يبقى مع الأغلب إلا نفغر يسير فعاد أدراجه إلى القيروان حيث لقى مصرعه في نفس العام (150هـ)[3].

أما أبو قرة فقد أقام في تلمسان وبدأ يعد العدة لجولة تالية خلف الأغلب على افريقية قائد عرف بشجاعته المفرطة هو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة (المهلب بن أبي صفرة) وعرف بشدة بأسه وشجاعته النادرة اختاره المنصور بالذات لقدراته العالية في قمع الحركات والثورات وتجاربه الموفقة مع الخوارج الازارقة في المشرق، وحرصه على نشر الأمن في كل أنحاء المغرب[4]، ومن الجدير بالملاحظة أن فرقتي الاباضية والصفرية في المغرب تضامنتا لإعلان الثورة على العباسيين في المغرب، فقد ثار من الاباضية كل من أبي حاتم يعقوب بن حبيب بن مدين (إمام الاباضية عقب وفاة إمامهم عبد الأعلى) بنواحي طرابلس[5]، وعاصم السدرائي في ستة آلاف رجل[6]، وعبد الرحمن بن رستم في خمسة ألف رجل[7]، والمسور بن هانئ الزناتي في عشرة آلاف من الاباضية ومن الصفرية كل من عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي، وجرير بن مسعود وأتباعه من قبيلة مديونة وأبي قرة اليفرني في أربعين ألفاً من قومه وغيرهم، وقد اتجه هؤلاء الثوار جميعاً إلى مدينة طبنة[8] عاصمة الزاب وحاصروا عمر بن حفص الذي اتفق وجوده بها في هذه الآونة للإشراف على تحصيناتها وتفقد مصالحها وتعهدها بالعناية بناء على أوامر تلقاها من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أراد ان يجعل من هذه المدينة وما حولها من حصون سداً منيعاً أمام أي عدوان يوجه إليها من المغرب الأوسط ولما كانت مدينة طبنة تقع على الطريق الرئيسي المؤدي إلى تلمسان مقر إمارة بني يفرن الصفرية، فقد عدّ اليفرنيون الزناتيون ان ما يقوم به عمر بن حفص عملاً عدائياً موجهاً ضدهم لذلك قرر أبو قرة ان يتحد مع الاباضية لمواجهة عدوهما المشترك[9]، واستغل الخوارج تفوقهم العددي على قوات عمر بن حفص التي لم تكن تتجاوز خمسة عشر ألفاً لتوجيه ضربتهم، وعندما أدرك عمر بن حفص أنه لا قبل له بكل الحشود، لذا قرر ان يستخدم سلاح المال للخروج من هذا المأزق الصعب الذي وجد نفسه فيه، لاسيما في هذه الظروف السياسية الحرجة التي سادت المغربين الأدنى والأوسط منذ سقوط الخلافة الأموية هذا الاضطراب السياسي انعكست آثاره على الناحية الاقتصادية في المغرب، فقد كثرت المجاعات، وعم القحط في البلاد، وعانى البربر كثيراً من ضروب البؤس والفقر[10]، ويذكر ان حفص بعث مع رجل من قبيلة مكناسة يدعى إسماعيل بن يعقوب أربعين ألف درهم وكسى كثيرة[11] إلى أبي قرة اليفرني نظراً لكثرة أصحابه وخطورتهم مقابل ان ينسحب هو وقومه ومن انضم إليه

(1) الاغلب بن سالم التميمي: هوالاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، امير من الشجعان القادة، هو جد الاغالبة ملوك افريقية، واول من وليها منهم، كان مع ابي مسلم الخرساني حين قيامه بالدعوة العباسية ولاه المنصور امارة افريقية سنة148ه، فاقام في القيروان ووطد الامور، وانصرف لقتال الصفرية.انظر: اليافعي، ابو محمد عبد الله بن احمد بن علي بن سليمان، مرأة الجنان وعبرة اليقطان، دار الكتاب الاسلامي، (القاهرة-1993م)ج1، ص361؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص112.

(2) طنجة: مدينة ازلية تقع على جبل مطل على شاطى بحر الزقاق(مضيق جبل طارق)، بينها وبين البحر ثلاثون ميلا، لها اسواق عامرة وصناع وفعلة ومزارع وغلات، وسكانها من بربر صنهاجة.انظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط1، ج2، ص529؛ الحميري، الروض المعطار، ص396 ؛البلاذري، فتوح البلدان، ص322

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص586 ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص70- 71.

(4) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص72.

(5) ابن خلدون، العبر، ج6، ص112.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص75.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص599؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص75 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص112.

(8) طبنة: عاصمة بلاد الزاب ومقر الولاة، وتقع في وسط الزاب الممتد من جنوب قسنطينة في الجزائر، مدينة حسنة كثيرة الماء والبساتين والزرع وعليها سور من تراب وبها صنائع وتجارة ويعمل أهلها كذلك بالتجارة ويجنون من ورائها أموالاً طائلة. ينظر: الإدريسي، أبو عبدالله محمد الشريف السبتي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: مجموعة من العلماء، نشر مكتبو الثقافة الدينية، (القاهرة- د.ت)، ص263؛ البكري، المغرب، ص50 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص387.

(9) الحميري، الروض المعطار، ص386.

(10) ابن خلدون، العبر، ج6، ص88 ؛ سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، (الإسكندرية- 1966م)، ص352.

(11) اختلف المؤرخون حول مقدار الرشوة التي عرضها عمر بن حفص على أبي قرة اليفرني فالرقم ذكره عدة مؤرخين. انظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص12 ؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، نشر: د.مصطفى أبو ضيف، (الدار البيضاء- 1984م)، ج2ص243 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص599 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76.

من الخوارج الصفرية والاباضية من مواقعهم أمام طبنة ولكن أبا قرة كان قد اعتبر العرض السخي المقدم له من باب الرشوة، ورفض قبولها وقال لإسماعيل المكناسي: **((بعد ان سلم على بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا؟ لا حاجة لي به))**[1].

وإزاء رفض أبي قرة الأموال، عرض إسماعيل المكناسي أربعة آلاف درهم فقط على ابنه (وقيل أخيه) نظير انسحابه من موقعه أمام طبنة هو ومن معه من بني يفرن، ولم يتردد ابن أبي قرة في الاستجابة لذلك وشرع من ليلته في إقناع بني يفرن بالانسحاب "**فلم يعلم أبو قرة حتى انصرف عنه أكثر أهل العسكر فلم يجد بداً من أتباعهم**"[2].

أدى انسحاب اليفرنيين من مواقعهم أمام طبنة إلى أنقسام الخوارج وتفككهم وتفرق كلمتهم وتمكن عمر بن حفص من الخروج من طبنة بعد ان ترك عليها احد قادته وهو المهنا بن المخارق بن غفار الطائي بيد ان أبا قرة لم يلبث ان عاود حصار طبنة من جديد بعد ان رحل عنها أبو حفص لمحاربة أبي حاتم الاباضي وأصحابه، ويشير الرقيق القيرواني[3] إلى ان المهنا بن المخارق توسل بنفس الوسيلة التي اتبعها عمر بن حفص مع أبي قرة وهي إغراء أبي قرة بقدر كبير من المال، فأرسل إليه يطلب منه الانصراف عنه، فرد عليه أبو قرة بقوله)**(نصيبي منك ومن قبيلك أحرار، ولكن لا سبيل المعترك غنيمة المسلمين)** واضطر المهنا بن المخارق إلى خوض معركة عنيفة مع اليفرنيين انتهت بانتصاره عليهم في عام (154هـ/771م) ولم تحل هزيمة اليفرنيين أمام طبنة عن مشاركتهم للخوارج الاباضية والصفرية في حصار عمر بن حفص بالقيروان[4] فقد خرج أبو قرة اليفرني على رأس أربعين ألف من بني يفرن متجهاً نحو القيروان، حيث انضم إلى جيوش الخوارج الأخرى، واحكم الجميع الحصار عليها وانتهى هذا الحصار بمصرع عمر بن حفص في منتصف ذي الحجة عام (154هـ/771م) وسقوط القيروان في يد أبي الخطاب الاباضي[5].

ولكن سيطرة الخوارج على القيروان لم تستمر طويلاً فقد تمكن يزيد بن حاتم المهلبي والي افريقية الجديد من إلحاق الهزيمة بهم في معركة شرسة قتل فيها أبو حاتم أمام الاباضية، ويذكر ان ابن خلدون[6] أن أبا قرة اضطر إلى العودة إلى موطنه بتلمسان بعد ان هزم في المعركة.

المبحث الثالث

أثر زناتة في أحداث الخوارج في المغرب الأدنى

خروج أبي يزيد مخلد بن كيداد على الفاطميين

واجه الزناتيون بعد زوال الخطر العباسي عنهم ومالقوه من ويلات على يد ولاتهم ,قوة جديدة لا يستهان بها اخذت تبسط نفوذها على كامل المغرب العربي بعد ان استطاعت القضاء على دويلات الطائف القائمة هناك هذه القوة هي قوة الفاطميين الذين بدؤا بالظهر على مسرح الاحداث السياسية في المغرب العربي سنة 296هـ [7]. وبفضل الدعم الكبير الذي تلقته هذه القوة من قبائل كتامة وصنهاجة, وبفضل هذه المساعدات تمكن الفاطميون من القضاء على الامارات القائمة بالمغرب العربي آنذاك الاغالبة والرستميين والمدراريين في سجلماسة وبذلك اصبحوا وجها لوجه مع زناته التي تبنت اكثر بطونها الولاء للخوارج وقد تعزز العداء بين الطرفين نتيجة لاعتماد الفاطميين على كتامة وصنهاجة الاعداء التقليديين

(1) المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت-1968)، ج2، ص132.
(2) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص143؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76؛ النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ص234؛ إسماعيل، محمود، الخوارج، ص79- 80.
(3) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص143.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76 ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص143 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص12؛ النويري، نهاية الارب، ص236.
(5) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص143؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76؛ النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ص234؛ إسماعيل، محمود، الخوارج، ص79- 80.
(6) ابن خلدون، العبر، ج6، ص88 ؛ سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، (الإسكندرية- 1966م)، ص352.
(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص302؛ ابن خلدون، العبر ج7، ص16؛ إسماعيل، محمود، الخوارج، ص176.

لزناتة لذلك اخذت قبيلة زناتة بإيجاد تحالفات مع اموي الاندلس للوقوف بوجه الخطر الفاطمي الذي اخذ يهدد كيان زناتة في موطنها الاصلي بالمغرب الاوسط[1]. وهذا ما سنتناوله في الفصل الثاني من الدراسة.

اما في المغرب الادنى معقل الدولة الفاطمية فقد سعى الزناتيون وخصوصا بنو يفرن الى تدعيم ثورة الخوارج النكارية ضد الفاطميين[2] والتي كان يقودها مخلد بن كيداد[3] استغل مخلد بن كيداد تذمر البربر من السياسة الاقتصادية التعسفية التي انتهجها الفاطميون بالمغرب العربي وبدأ يدعو الناس لقتال الدولة الفاطمية وكان ذلك سنة 321هـ عندما اقدم على اعلان الثورة ضد الفاطميين واجتمع الى ابي يزيد الخارجي القرابة وسائر الخوارج وبايعوه على قتال الفاطميين واتفقوا معه ان يصير الامر شورى بينهم ان تمكنوا من الاستيلاء على المهدية والقيروان[4].

انطلقت ثورة أبي يزيد سنة 322هـ/944م اذ لم يجد أبا يزيد صعوبة في إثارة القبائل الاوراسية ضد نظام الحكم بسبب تعودهم على حياة التقشف مما مكنه من إقناعهم بحجة الاستحواذ والنهب والحصول على الغنائم بصورة شرعية[5]، بدأت الثورة بتنظيم غارات على باغية اكتفى في بداية الأمر في ضواحيها بالحصول على الغنائم بنهب بعض القصور وبسبب الغنائم ازداد عدد المتمردين مما شجعهم على الزحف على باغية[6] ولما تفاقم خطر الثوار على باغية تصدت القوات الكتامية المجندة في بعض النواحي لقبائل الزناتيين فجرت معارك استطاع خلالها أبو يزيد التصدي لعسكر كتامة مما أجبر المغيرين على باغية بالانسحاب فقرر أبو يزيد التخلي عن باغية والاتجاه باتجاه سبتة وبمساعدة قبائل بنو يفرن الزناتية فقام بالقضاء على الرجال وسبي النساء ووزع الغنائم على أتباعه توزيعاً شرعياً واحتفظ لنفسه بالخمس كأنه يريد تأكيد طموحه بالإمامة[7] ثم استولى بعد ذلك على مرماجنة وفي هذه المدينة اهدي إليه حماراً أشهب فسمي صاحب الحمار ثم أثار الهلع بمدينة الاربس القريبة من مرماجنة فأسرع الكتامين المقيمون بها إلى الاعتصام[8]، في حين لاذ عاملها إسحاق بن خليفة بالفرار ولكن رد فعل القائم على اندلاع الثورة لم يكن سريعاً[9].

حيث اعتمد في أول الأمر على الكتاميين للتصدي للثوار والوقوف بوجههم حول باغية ولكن سقوط الاربس أيقظ القائم من غفلته وحثه على اتخاذ إجراءات عسكرية مستعجلة ورغم امتلاكه لجيش منظم لم يكن قادراً على إخماد الثورة بسبب سوء إدارته، فبقي القائم بموقف الدفاع في الوقت الذي كانت حشود قبائل البربر تكتسح البلاد ففكر القائم بتطبيق خطة بتوزيع جنوده في مدن مختلفة لكن هذا التصرف أدى إلى تجزئة الجيوش، كتيبة بقيادة بشر الخادم وكتيبة أخرى بقيادة ميسور الخادم لما اطلع أبو يزيد على ما اتخذه القائم من استعدادات حربية أدرك الخطر المحدق به.

قام بمواجهة بشر في معركة هزم فيها بن كيداد، فركب حماره واخذ عصاه وهجم على الجيش فتمكن من دخول مدينة باجة، ثم قام أبو يزيد بدعوة كافة القبائل البربرية إلى الانضمام إليه مطلقاً لهم العنان في القتل والنهب والحرق وإثارة الرعب فتأثرت القيروان بالغ الاثر بهزيمة بشر الخادم وأصبحت مهددة من قبل البربر، لم تمتلك المدينة وسائل الدفاع القوية، أما صاحب الحمار فبدأ بالتوجه إلى القيروان وكان قد عهد للمنصور بن منصور الهواري بملاحقة جيش بشر

(1) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: جمال الدين الشيال، (القاهرة- 1967م)، ج1، ص157.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص216 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص26 ؛ الدجيني، أبو العباس احمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب المعروف بطبقات الاباضية، تح: إبراهيم طلاي، قسطنطية، 1974، ج1، ص96؛ سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، ج2، ص62.
(3) مخلد بن كيداد:وهو من بني يفرن على المذهب الاباضي النكاري، ويعرف بصاحب الحمار تميز بالزهد والتصوف، وكان مؤيد للأمويين ضد الفاطميين، اذ دخل معهم في وقائع عدة وقتل منهم خلق كثير وفرق مدنهم حاصر المهدية مرات عدة ولم يستطع الفاطميون مجاراته الا بعد الاستعانة بقبيلة صنهاجة. ينظر:ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق بن محمد، الفهرست، دار المعرفة (بيروت -1978)ج1، ص265؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص212.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص211.
(5) المصدر نفسه، ج2، ص216.
(6) باغاية: وهي حصن صخر قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواح.انظر:البكري، المغرب، ص 78
(7) ابن خلدون، العبر، ج7، ص16؛ إسماعيل، محمود، الخوارج، ص177.
(8) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص75 ؛ الجنجاني، الحبيب، السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، وزارة الشؤون الدينية، (المغرب- 1977)، ص56.
(9) ابن حوقل، أبي القاسم محمد البغدادي النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت- 1979)، ص234؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص306-307.

والهجوم على مدينة تونس[1] والتي تمكن عاملها الحسن بن علي في أول الأمر من الانتصار على البربر لكن بعد ذلك خسر المدينة، ارتحل بعد ذلك الحسن بن علي[2] وأخوه عمار وبشر إلى سوسة وعسكر بها استجابة إلى أمر القائم في هذه الأثناء اقترب أبو يزيد من القيروان، وقد تدهور الوضع بالقيروان ورغم إلحاح قاضي الجماعة احمد بن بحر[3] أصر حاكمها على البقاء في المدينة وعدم مقاتلة جيش أبي يزيد منتظراً نجدة ميسور الخادم الذي كان معسكراً في الأخوين بين القيروان والمهدية، لكن البربر تمكنوا من اقتحام القيروان مما اضطر حاكمها إلى ملاقاة أبي يزيد فقامت كتيبة بربرية بقيادة أيوب بن خيران من محاصرته بقصره واعتقاله ليقوم ابو يزيد بقتله بعد ذلك بعد ان استشار ابا عمار الأعمى[4].

كان سقوط القيروان يمثل انتصار باهر بالنسبة إلى أبا يزيد لأن هذا الانتصار رغم أهميته لم يكن حاسماً وذلك لأن القوة الفاطمية التي تزعزعت بصورة جدية نتيجة لثورة ابي يزيد مازالت قوية وذلك بسبب صمود المهدية وبناءاً على ذلك فقد حرص أبو يزيد قبل شن المعركة النهائية باستقلال انتصاراته العسكرية في الداخل والخارج فوجه وفد إلى قرطبة برئاسة أحد فقهاء المالكية ليبلغ الخليفة الناصر بانه دخل في طاعته وكان ابي يزيد يرمي من وراء التحالف مع الناصر لتدعيم نفوذهم بالمغرب لا سيما اذ ما علمنا اغلب سكان المغرب كانوا على المذهب المالكي الذي يدين به الخليفة الناصر[5] وذلك أنه أدرك الفائدة التي يمكن ان يجنيها عبد الرحمن الثالث منه من خلال هذا الدعم يتمكن من بسط سلطانه على بلاد متمسكة بالمذهب المالكي وضمان تحالف المالكيين معه كما ان هذا التحالف له دور في حث القيروانيين على محاربة الفاطميين أما أبا يزيد فاستخلف ابنه فضل على رقادة بمساعدة أبا عمار واستعمل على القيروان عامله يدرس المزائي وانطلق باتجاه ميسور الخادم[6].

هجم أبو يزيد على ميسور الخادم مباغتاً إياه فركب على جسر بالقرب من موقع القتال فانهزمت ميسرة أبو يزيد فلما رأى أبو يزيد هزيمة ميسرته فذهب هو ومن معه إلى موضع ميسور، فهرب أتباع ميسور إلى المهدية وتمكن أبو يزيد من قتل ميسور ثم شرح جسمه وعلقه على شجرة زيتون وأمر أبو يزيد بتوجيه إلى القيروان والمغرب والزاب، فقد أحرز أبو يزيد انتصاراً باهراً في المعركة[7]، فأصبح الطريق مفتوح نحو المهدية، وأصبح نحو (20ميل) من منطقة الأخوين وهناك نصب أبو يزيد معسكره، فأمر الخليفة الفاطمي القائم بحفر خندق حول المهدية ووجه رسائل إلى الكتاميين يأمرهم بالقدوم إلى المهدية وحثهم على الجهاد في هذه الأثناء ترك أبو يزيد رجاله يعيثون فساداً في سوسة، وارتحل أبو يزيد من معسكره وحط رحاله[8] على بعد (15ميل) من المهدية، ثم التقى الجيش الفاطمي بعسكر أبو يزيد بقيادة ابنه الفضل، ودارت معركة في موضع يقال له الاشراف على بعد 8 أميال من المهدية قرب سوق الأحد، فقرر ابو يزيد بالاتجاه بنفسه نحو المهدية فوصل إلى مصلى العيد حيث هزم رجاله هناك وبعد ان وقف القتال لمدة أسبوع شن هجوماً آخر صد من قبل الفاطميين ليقوم بعد ذلك بحملة بعد شهر بمشاركة أهل القيروان[9]، وقبل هذا التاريخ اجتمع الفقهاء بجامع القيروان[10] استغل ابو يزيد تعاطف المالكية معه فقام بمهاجمة مدينة القيروان التي ازمع فقهائها على مساندة حركته بسبب موقف المالكية المعادي للفاطميين الا ان ابا يزيد لم يتمكن من دخول القيروان مما عرض فقهائها الى انتقام الفاطميين، وتعرض ابو يزيد

(1) تونس: مدينة أزلية عظيمة على ساحل البحر المحيط لها سور متقن من الطين، وفيها دار لصناعة السفن وهي قاعدة المغرب الأدنى. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص75 ؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص120-121.
(2) الحسن بن علي: وهو الحسن بن علي الكلبي، الذي ذاع صيته في صقلية. انظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص74.
(3) أحمد بن بحر: قاضي القيروان وهو الذي سيقتله القائد أبو يزيد مع القائد الفاطمي بن اسحاق. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص245 ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص82؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص214.
(4) ابن خلدون، العبر، ج7، ص17 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص303.
(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص75 ؛ إسماعيل، محمود، الخوارج، ص177.
(6) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص216 ؛ البكري، المغرب، ص31.
(7) ابن الابار، الحلة السيراء، ص194 ؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص141.
(8) السلاوي، الاستقصا، ج1، ص207؛ العبادي، احمد المختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص189.
(9) البكري، المغرب، ص151.
(10) ابن عذاري، البيان، ص219؛ البكري، المغرب، ص31.

الى هزيمة اخرى بالقيروان وازداد حماس الفاطميين بإمكانية تحقيق النصر[1]، وكان القائم حرص جنوده من خلال الخطب المؤثرة التي قرأها عليهم[2]، فتمكنوا من هزيمة أبو يزيد مرة أخرى أمام المهدية[3].

شدد بعد ذلك ابو يزيد الحصار على المهدية وزاد غلاء المعيشة حتى اكلوا الميتة والدواب ولكنهم لم يفتقروا إلى الماء والطعام لأن القائم بالله قد فتح المخازن الحاوية على مدخرات المقاتلين من الطعام والشراب وفي تلك الأثناء تفرقت العديد من القبائل البربرية المساندة لأبو يزيد لأنها لم تجد ما تنهبه انفصل عنه بنو مشير بناحية باغية والتحقوا بالفاطميين، فاضطر أبو يزيد من الرجوع إلى القيروان[4]، لكن هذه المرة لم يستقبله سوى الأطفال فخرج إليه أبا عمار ليوبخه على انحلال أخلاقه فاظهر التوبة ولبس الصوف وركب الحمار، إلا ان هذه الهزائم لم تثني عزم أبو يزيد عن مواصلة القتال فقد قام بنهب نواحي باجة وتونس[5] وسبي النساء ورجع إلى القيروان محمل بالغنائم تعرض بعد ذلك ابو يزيد الى محاولة اغتيال استطاع من احباطها بمساعدة ابنه فضل وكتب أهل افريقية إلى القائم الذي استمر بسياسة الدفاع يشكون ما حدث بهم من نهب وقتل[6] فبعث إليهم الحسن بن علي ليلتقي بأصحاب أبو يزيد بوادي الرمل[7] فقتلهم وأحذ ما معهم من أموال ومواشي وكان رد فعل أبو يزيد فورياً فأرسل ثلاث فرق عسكرية من القيروان بقيادة كل من يدرس المزاتي، موسى الصنهاجي، وأيوب الزويلي، فتوجه إليهم القائد الفاطمي الحسن بن علي فألحق بهم هزيمة شنعاء[8]، أما أيوب بن أبي يزيد قام بمهاجمة القائد الفاطمي الحسن بن علي فاقتتلا فولا أيوب مهزوماً راجعاً إلى القيروان عام 334هـ/945م[9].

وهكذا لم يتحسن وضع أبو يزيد ولم يتمكن من فتح المهدية أما القيروان التي استقبله أهلها في بداية الأمر أصبحوا ينتظرون اليوم الذي يتخلصون منه فوقع اختياره على سوسة ولكن هذه المدينة كان ولاءها للفاطميين فزحف أبي يزيد بنفسه على سوسة في عز فصل الشتاء على رأس جيش عظيم محاصراً المدينة مستعملاً دبابات مصنوعة في القيروان ليتمكن رجاله من اقتحام السور ناصباً عليها المنجنيقات وسلاسل بها كلاليب كانت تربط في حوائط السور ثم ترمى الكلاليب على الدبابات ليتمكن رجاله من السيطرة على المدينة وبقيت هذه المدينة محاصرة لمدة طويلة[10].

أما المهدية فقد مرض الخليفة القائم وأخذ يفكر فيمن يخلفه بعد موته وانقضت عدة شهور ومدينة سوسة في ذلك الحصار[11]، وبذلك انتهت الجولة الاولى من الثورة أمام أسوار المهدية بوفاة الخليفة الفاطمي القائم وستبدأ المرحلة الثانية بتولي إسماعيل الحكم بعد الخليفة القائم بأمر الله فلم تمضي سوا سبعة أيام على دفن القائم بأمر الله حتى أخذ ابنه إسماعيل باجراء الاستعدادات اللازمة لقيادة العمليات الحربية ضد أبي يزيد ففي سنة (334هـ/946م) ذهب الخليفة إلى دار الصناعة بالمهدية[12]، وأمر يعقوب بن إسحاق[13] أن يشحن ستة مراكب بالرجال وان يسير بهم سراً إلى سوسة ثم أمر الكتاميين ان يوافوه بالسلاح والعدة بقرية بكة وتبعد ميلين عن المهدية دون ان يخبرهم بنواياه الحقيقية ثم توجه الخليفة

(1) ابن عذاري، البيان، ص218؛ التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد، رحلة التجاني، نشر: حسن حسني عبد الوهاب، (تونس- 1958)، ص371.
(2) ابن قتيبة الدنيوري، عبدالله بن مسلم، عيون الاخبار، تحقيق: السيلاوي، دار الكتب المصرية، (القاهرة- 1925)، ص311.
(3) ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار، ص312.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ص216 ؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار، ص313.
(5) باجة: من اقدم المدن الاندلسية بينها وبين قرطبة منه فرسخ. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص75. تونس: قام بخطها حسان بن النعمان عام 82هـ، وقد سميت تونس لوجود صومعة الراهب فقام حسان بحفر قناة تصل المدينة بالبحر لتكون ميناء بحري ومركز للأسطول الإسلامي. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت-1995م)، ج2 ص142؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار، ص317.
(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص144 ؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وافريقيا، ص228.
(7) وهو وادي واقع بين زغوان وبوفيشة واسمه اليوم وادي الحمام. ينظر: مجهول، الاستبصار، ص129.
(8) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص332.
(9) ابن خلدون، العبر، ج6، ص32 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص432.
(10) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص334؛ عزيز، احمد، تاريخ صقلية الإسلامي، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، (تونس- 1980م)، ص46.
(11) البكري، المغرب، ص35.
(12) دار الصناعة المهدية: وهي الدار التي كانت تصنع بها سفن الجيش الفاطمي في مدينة المهدية. ينظر: ابن قتيبة الدنيوري، عيون الأخبار، ص349.
(13) يعقوب بن إسحاق: وهو اخو خليل الذي أسره أبو يزيد في القيروان وأعدمه. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص138؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص351.

إسماعيل بنفسه إلى سوسة بمجموعة من الكتاميين ولما وصلت القافلة إلى المنطقة الواقعة في منتصف الطريق فنصحوه قادة الجيش بعدم قيادة الجيش بنفسه فعهد إلى كبون بن تصولا بقيادة كتيبة تضم (400) فارس لتتجه الى مدينة سوسة ثم رجع هو وخدمه إلى المهدية[1] فبقي بين كبون بن تصولا والعدو عشرة أميال، وبات يعقوب بن إسحاق بمراكبه في البحر عند مدينة سوسة فلما أصبح الصباح الصق مراكبه بالبر وانزل رجاله بالقرب من البوابة الشمالية لمدينة سوسة، وكان ذلك في يوم كثير الغمام مظلم الجو فلما ظهرت الشمس من الغمام ظهرت خيول الفاطميين للبربر فركب أبو يزيد بنفسه ونصبت أعلامه وضربت طبوله ووقف أهل سوسة مع الفاطميين وصاروا معسكراً واحداً مع الفاطميين فالتحم القتال واشتد الصراع فدخل الفاطميين من باب سوسة الجنوبي فالتقوا أبا يزيد وأشعلوا حطباً فاشتعلت النيران فتركها هارباً إلى القيروان وهرب اتباع ابو يزيد من كل جانب[2]، ما أن علم إسماعيل بالانتصار الذي حققه جيشه في سوسة حتى خرج بنفسه لمطاردة المتمردين فسلم إلى جوذر الحاجب مفاتيح الخزينة وفوض إليه جميع السلطات وجعله على رأس قصر الخلافة ثم ارتحل إلى سوسة فالتحق به زيادة الله بن عبدالله بن القديح وجماعة من الذين كانوا بالقيروان ملتمسين العفو منه فلما وصلوا القيروان وجد جماعة من أتباع أبي يزيد[3] قام البربر بالتوافد مرة أخرى على القيروان تضامنا مع أبي يزيد، أما الخليفة إسماعيل فقد حفر خندقاً وأخذ ينتظر قدوم عدوه فاقترب أبو يزيد من القيروان ونصب معسكره بالقرب منها وحمل على الفاطميين بهجوم استطاعوا صده ثم عاود البربر بالهجوم على الفاطميين لاعتقادهم بإمكانية التغلب على الفاطميين إلا ان الخليفة الفاطمي ترك خيامه وحمل عليهم كالأسد واقبل على أبو يزيد فألقى الرعب في قلبه وجعله ينكص على عقبيه[4].

إما في المعسكر الفاطمي فقد كان الوضع حرجاً للغاية لكن الخليفة إسماعيل الذي كان مقداماً ومخططاً ماهراً رغم جهله بفنون الحرب، وحرص من ذلك الحين على التصدي لهجمات البربر المتكررة فتحصن وراء الخندق المستند إلى أسوار القيروان وكانت المؤنة تأتيه من المهدية وسوسة وتمكن بذلك من تحطيم معنويات خصمه، ثم عاود مخلد بالهجوم على الفاطميين مقترباً من القيروان[5]، أما إسماعيل فامتنع عن قتاله وكأنه في حالة حصار باقياً خلف أسوار القيروان فبذلك اتجه البربر إلى باب اصرم وكان إسماعيل قد جعل فيه المركوثين[6].

فقام البربر بإشعال النار مما اضطر الفاطميين إلى الخوض بمعركة استمرت لعدة أيام ولم تسفر عن نتائج حاسمة بعد ذلك جاء جنود آخرون لتعزيز قوة الفاطميين فتمركزوا أمام باب تونس وجرت معركة ضارية فأمر الخليفة بعض قادته بأخذ مئة فارس وبمهاجمة القيروان[7]، فولوا البربر مدبرين وتوافدت على الخليفة إسماعيل مساعدات عسكرية من سوسة ليقوم أبو يزيد بحملة أخرى على الفاطميين لم تجدي نفعاً فقام بتغير خطته العسكرية بشن غارات على ضواحي سوسة والمهدية لإثارة الخوف بالجنود الكتاميين على مصير عائلاتهم ولكن جوذر تمكن من تهدئة روع العائلات الكتامية كما وجه إسماعيل جيشاً كبيراً إلى جزيرة جمة[8] ليقوم أبو يزيد مرة أخرى بمهاجمة القيروان دون ان يحقق مبتغاه واقترح إيقاف القتال بالإفراج على النساء والعائلات البربرية المعتقلة في المهدية لكن رجاله نصبوا كمين للجنود الفاطميين فاستأنف القتال مرة أخرى[9]، ودخل سنة 335هـ/947م دون ان تحسن المعركة لصالح أي من الطرفين بعد ذلك عزم إسماعيل على المجازفة فأخذ بزمام المبادرة وشن الحرب التي وصفها الداعي إدريس وورد ذكرها في سيرة جوذر (معركة الجمعة) وانتهت

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص66؛ المقريزي، كتاب المقفى الكبير، ص170.
(2) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص357.
(3) ابن خلدون، العبر، ج7، ص17؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص358.
(4) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، (القاهرة- 1977)، ج2، ص97 ؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص362.
(5) البكري، المغرب، ص54؛ الفيلالي، العلاقات بين الدولة الأموية، ص182.
(6) وهم لاتينيون ينسبون إلى ماركوس. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ص144؛ الحميري، الروض المعطار، ص284.
(7) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص124؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص367.
(8) جمة: وهو الاسم القديم للمهدية. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص158؛ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت-1965)، ص186.
(9) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص215؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، نشر: ليفي بروفنسال، (الرباط- 1934م)، ص49.

بانتصار الجيش الفاطمي انتصاراً ساحقاً[1] وجرت عدة معارك ومناوشات بين الطرفين وبدأ أتباع أبي يزيد بالانهزام والفرار نتيجة لتكرار هزائم جيش أبي يزيد فاستولى الفاطميين على معسكر أبي يزيد واخذوا منها الغنائم والأموال وقد سحقوا الحشود البربرية وبذلك نجحت الدولة الفاطمية من الهلاك والسقوط على يد ابي يزيد، وما ان رجع إسماعيل إلى معسكره لقب بالمنصور بالله نتيجة لهذا الانتصار موجهاً إلى المهدية ثلاثة من عبيده الذين شهدوا المعركة ليبلغوا جوذر بالنصر وأمر قاضيه محمد بن أبي المنظور[2] لتوزيع الغنائم والأموال الكثيرة على فقراء القيروان وكلف جعفر الحاجب[3] بإقامة صلاة الجمعة بجامع القيروان وإلقاء خطبته معلناً فيها عن نصر الخليفة وإسقاط الجباية من جميع الضرائب الشرعية والخاصة مما أدى إلى انتعاش الأنشطة الزراعية والتجارية التي عطلتها الحرب وهذا ما طمئن نفوس أهل القيروان[4].

رغم النصر الذي حققه المنصور بمعركة القيروان إلا أنه أصر على قتل مخلد وملاحقته لذلك قاد الجيش بنفسه عبر المناطق الجبلية في الاوراس والزاب وأن يطأ هو أيضاً مناطق حركة الخوارج التي لم تقتحم منذ مدة طويلة مخضعاً بقوة السلاح القبائل الزناتية من أتباع أبي يزيد، كما عمل الخليفة الفاطمي الثالث على بناء مدينة بموقع معسكره المحاطة بخندق وسماها المنصورية[5].

وقام الخليفة الفاطمي بقطع الطريق على صاحب الحمار بأن ذهب قبله إلى باغية وأمر بتوزيع الأموال على أهلها فأتاه مبعوثان من قبل محمد بن خزر أمير مغراوة بطاعته فوافق المنصور وابلغهما بأنه سيعطيه عشرين حملاً من الذهب ان هو قبض على صاحب الحمار وسلمه حياً أو ميتاً[6]، وتوجه الجيش الفاطمي باتجاه مدينة الزاب ليستمر بمطاردة أبي يزيد الذي استمر بالهرب من المنصور، فقرر الخليفة الذهاب إلى المسيلة وقضى هناك أسبوعان بعدها ترك المسيلة متوجهاً إلى جبل سالات وعندما علم أبو يزيد بتوجه الخليفة الفاطمي هرب باتجاه الصحراء[7].

وقد عانى الجنود الفاطميين من نفاذ المؤن وقد مات عدد من خيولهم بسبب قلة العلف ومات عدد من جنوده بخوضهم طرق لم يسلكها جيش قط ونظراً لذلك قرر المنصور ان يتجه إلى صنهاجة[8]، وعانى الجيش الفاطمي من البرد اثناء توجهه إلى صنهاجة وهناك دخل في طاعته زيري بن مناد الصنهاجي[9] واستمر الخليفة بالسير وأصيب هناك بمرض نتيجة سوء الأحوال الجوية وأثناء فترة مرضه نشب نزاع بين أبي يزيد ومحمد بن خزر[10] الذي كان قد دخل في طاعة المنصور فوجه إليه رسالة يعلمه بمكان صاحب الحمار[11] وذلك بعد ان قامت جماعة من القبائل البربرية بمهاجمة سوق تابع لهم[12].

فقد اثر هذا الانضمام لقبائل مغراوة مع صنهاجة أثر بالغ في انتصار الخليفة الفاطمي على أبي يزيد مما اضطره إلى الاختباء في جبل سالات أو التوغل في الصحراء فاستأنف دعوته الدينية ضد الفاطميين مما أدى إلى استمالة عدد من القبائل البربرية مما دعاه إلى الخروج بالقرب من المسيلة والاستعداد لحصارها[13].

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76.
(2) ولاه المنصور القضاء سنة 324 وتوفي في سنة 331هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص157.
(3) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص223.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ص280 ؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص380.
(5) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص373 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ص261.
(6) الحميري، الروض المعطار، ص344 ؛ الفيلالي، العلاقات السياسية، ص221.
(7) البكري، المغرب، ص172؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص244.
(8) المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، (ليدن- 1906)، ص216.
(9) زيري بن مناد: ملك قبيلة صنهاجة، وهو جد المعز بن باديس، كان قد سيطر على مدينة تلمسان وتاهرت، بنى مدينة أشبر وحصنها، كان قائماً بالدعوة العبيدية ومشهوراً بالشجاعة وحسن السيرة، قتل في حرب مع أموي الأندلس سنة (360هـ/970م)، حكم لمدة (26) سنة. ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص218.
(10) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص62؛ أيوب، إبراهيم، التاريخ الفاطمي السياسية، ط1، الشركة العالمية للكتاب، (بيروت- د.ت)، ص29-30.
(11) ان سبب النزاع يعود إلى المعارضة القديمة بين الاثنين. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص14؛ الفيلالي، العلاقات السياسية، ص186.
(12) مجهول، مفاخر العرب، ص16.
(13) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص406؛ طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية، ص141.

وفي هذه الأثناء أدرك المنصور بأن خصمه مخلد أصبح في متناوله وادرك ضرورة الاستيلاء على الجبال وانتظر انقضاء فصل الشتاء ليستأنف عملياته العسكرية فخرج المنصور على رأس جيش يضم (400) فارس وخرج معه (500 صنهاجي) بقيادة زير بن مناد وهجم المنصور على أبي يزيد الذي حاول نصب الكمائن واحتدم القتال بينهم وأوشك صاحب الحمار السقوط بالمعركة وتمكن من الفرار مرة أخرى فأدركه من فرسان الفاطميين ومعه زيري بن مناد الصنهاجي فعقر الصنهاجي جواد أبي يزيد وقتل ابنه يونس وطعن أبي يزيد بوركه وكتفه فمال واحتضنه رجاله وتمكن من الفرار وأرسل في ذلك اليوم الف وسبعون رأس توجهت إلى المهدية وأشاد بهذا الانتصار جعفر بن حوشب الذي حضر من اليمن إلى هذه المعركة ونظم قصيدة قال فيها:

يهنأ لك النصر فيما رمت من سبب يا سيد الخلق من عجم ومن عرب

في كل يوم يرينا الله معجزة من نصره لك، تجلو غمة الكرب

وانت في كل حال تبتني رتباً في المجد فازدد علا في المجد والرتب[1]

وقد حثت الهزيمة أبو يزيد على الاعتصام بحصون جبل عقار الطبيعية وأوقف القتال الخليفة الفاطمي لمدة أسبوعين ثم استأنف الهجوم فسار من المسيلة يوم الجمعة غرة شهر رمضان (26 مارس 947م) وأصبحت المسافة بينه وبين أبي يزيد ستة أميال وارتدى الخليفة زي الحرب ومعه القبائل الموالية له قاصداً أبي يزيد سالكاً الجبال والطرق التي لا يسلكها الخيل ونزل راجلاً قاصداً أبي يزيد[2]، فدارت معركة بينهما حسمت أولاً لصالح المنصور اضطر بها مخلد إلى الهروب إلى قمم الجبال وانشغل الجنود الفاطميين بالسلب والنهب مما أزعج المنصور من سلوكهم واستفاد الخصم من تمركزه بقمم الجبال فتفوقوا على خصومهم وأجبروهم على الانسحاب[3].

وبذلك فقد فشل الخليفة الفاطمي من اقتحام الجبل المنيع الذي كان يتركز به جنود وقوات أبي يزيد، مما اضطره إلى إيقاف الحرب خلال شهر رمضان وبهذه الفترة أمر بعمل قفص من خشب محمول على بكرتين لغرض إدخال مخلداً فيه عند القبض عليه وإدخال قردين ذكر وأنثى معه[4]، ثم اتجه المنصور باتجاه كيانة وصلى هناك بعد ان بنى مصلى فيها بعد ان أقام شعائر صلاة العيد وأشار بخطبته إلى توليه الخلافة والإمامة بعد وفاة القائم[5] ومن قلعة كيانة إلى المرحلة الأخيرة من مطاردة أبي كيداد وهنا قطع جميع الطرق المؤدية إلى القلعة وأمر بحفر الخندق وتمثل رد فعل أبي يزيد بشن غارات قصيرة المدى واستمرت الهجمات من كلا الجانبين إلى ان شن أتباع أبي يزيد هجوم على خندق المنصور مفترقين إلى ثلاثة فرق وهزمت الميسرة والميمنة وهرب أبي يزيد باتجاه الخندق[6]، وتعددت الحملات دون نتائج حاسمة وفي هذه الأثناء أرسل أبي يزيد ابنه فضل إلى ابن محمد بن خزر ليطلب نصرته فوافق لكن أبوه محمد بن خزر وأخوه أنكرا عليه ذلك لكنه لم يهتم وخرج لنصرة مخلد بن كيداد فاتفق المنصور مع زيري بن عطية على شن هجمةً أخرى فتعرضوا إلى الحجارة وأرهقتهم الحرارة وبقي المنصور وحيداً وثار عجاج مظلم لكنه اقتحم القلعة واستولى على الجزء العلوي منها الواقع في أعلى جبل كيانة واضطر أبي يزيد إلى التحصن بأحد القصور الأثرية القديمة وعند ظلام الليل أمر المنصور بإشعال النار حول القصر وطلب من أتباع أبي يزيد الاستسلام وحملوا حملة واحدة وفي وسطهم أبي يزيد وصاحبه أبا عمار (الأعمى) اختلطوا معه وفي تلك المعركة سقط أبا عمار الأعمى صريعاً وجماعة من القوم وعثر على أبو يزيد عند طلوع الشمس ملقى على الأرض ومصاب بجراح خطرة فأمر المنصور بمعالجته ووضعه تحت حراسة مشددة

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص409- 411.
(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص27؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية ومصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس، (بيروت- 2001)، ص140.
(3) المقريزي، المقفى الكبير، ص168 ؛ سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، ص507.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص305؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأبصار، ص114.
(5) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص407؛ الداعي ادريس، عماد الدين القرشي، عيون الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، (بيروت- 1975)، ص172-173.
(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص304.

لكي يستفسر منه عن غايته من التمرد إلا ان أبي يزيد توفي ليلة الخميس 28 محرم 19 أغسطس 336هـ متأثراً بجراحه لكن المنصور أمر بصلخ جلده وحشي بالتبن بعد ان أخرجت أحشاءه وملح حتى ظهرت صورته كأنها ناطقة[1].

وبعد انتهاء هذه المعركة وجه المنصور رسالة إلى قدام الثعلبي عامله على القيروان ليخبره بالانتصار وليعلن عند صلاة الظهر تولي المنصور الخلافة رسمياً وتلقبه أمير المؤمنين، لأن المنصور قد أخفى وفاة والده القائم بأمر الله لكي لا تتزعزع أركان الدولة الفاطمية.

الخاتمة

اتضح لنا مما تقدم بأن قبيلة زناتة بالمفهوم الواسع كان لها ثقل حضاري كبير وهام بكل ما في الكلمة من ثقل ومعنى، وهذا الثقل وجد في وقت كانت فيه البلاد المغربية محور من المحاور الأساسية الرائدة في العالم. ان لقبيلة زناتة واقع تاريخي لا محالة فهي ليست من نسيج خيال المشاعر، وان الدراسة المتواضعة لتلك القبيلة والتي امتدت من بدايات الفتح الإسلامي لمنطقة المغرب العربي الإسلامي وبعد استعراضنا لتلك الحقب التاريخية بما كان فيها من تغيرات وتقلبات ساهمت كثيراً أو قليلاً في إظهار شخصية قبيلة زناتة ودفعتها للمشاركة في صنع أحداث المغرب الأوسط وافريقية وباقي مناطق المغرب، فكان تأثيره ظاهراً من خلال دعم قبيلة زناتة إلى حركات الخوارج ومواجهة الدولة الفاطمية في المغرب وفي خاتمة هذه الكلمة الموجزة أراني ملزماً بسوق بعض النتائج التي أرها هامة لبيان شخصية تلك القبيلة في تاريخ المغرب مما جعلها محط أنظار المؤرخين والسياسيين والباحثين ومن جملة تلك النتائج والاستنتاجات:

1- طول المدة التي استغرقها فتح بلاد المغرب بكل مناطقه من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى والعائدة إلى النزعة الاستقلالية لقبائل زناتة والتي ظلت تطفو على السطح والتي غذتها التجارب السابقة مع الغزاة منذ العصور التي سبقت الإسلام فكانت الكاهنة وهي التي كانت تسعى لمنع العرب من الوصول إلى مناطق نفوذها بأن العرب لا يطلبون من تلك المناطق إلا الذهب والفضة والمدائن والشجر وبعض المطامع الأخرى.

2- سهولة اعتناق قبيلة زناتة للمذهب الخارجي بمذهبيه الصفري والاباضي والسبب بذلك يعود إلى ردة فعل تلك القبائل تجاه ظلم ولاة بني أمية الذي ساوموا سكان المغرب بإرهاقهم بالضرائب والتحايل عليهم بأخذ كل نسائهم الجميلات ليتسلى بها رجال الدولة المتنفذين الطامعين فلم تنفع الشكوى التي رفعها البربر للخليفة هشام، إضافة إلى ما كان يبديه دعاة الخوارج من تدين وتوقف عند نصوص الشرعية.

3- قيام زناتة في الثورة ضد الحكم الفاطمي في المغرب بقيادة أبو يزيد كان بدافع العصبية القبلية والتي يمتاز بها الزناتيون ولما لحقهم من ظلم من وجهة نظر ابن كيداد والتي استغلها كذريعة لإعلان الثورة ضد حكم الفاطميين في المغرب.

المصادر:

1. ابن أبي زرع، الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالله، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، دار المنصور للطباعة، (الرباط-1972).
2. ابن الابار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985.
3. ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، د.ط، دار صادر، (بيروت- 1966م).
4. ابن الأحمر، إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبعة الملكية، (الرباط- 1962).
5. ابن الخطيب، لسان الدين بن محمد بن عبدالله التلمساني، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، أعمال الأعلام، تحقيق: د. احمد مختار العبادي، (الدار البيضاء - 1964).
6. ابن الفقيه، أبي بكر أحمد بن محمد الحمداني، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- 1988).

(1) المقريزي، المقفى الكبير، ص150 ؛ أيوب، إبراهيم، التاريخ الفاطمي السياسي، ط1، الشركة العالمية للكتاب، (بيروت)، ص29- 30.

7. ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، دار النشر للجامعية، (بيروت–1957).
8. ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق بن محمد، الفهرست، دار المعرفة (بيروت –1978)ج1، ص265؛ ابن عذاري، البيان المغرب.
9. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، جهرة أنساب العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت– 2003).
10. ابن حوقل، أبي القاسم محمد البغدادي النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت– 1979).
11. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت–1965).
12. ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان محمد القرطبي، المقتبس من ابناء اهل الاندلس تحقيق: محمود علي مكي، لجنة احياء التراث الاسلامي (القاهرة 1994).
13. ابن خرداذبة، أبي القاسم عبدالله، المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، (بيروت– 1988).
14. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، دار الكتب العلمية، (بيروت– 2006).
15. ابن خياط، أبو عمرو خليفة، تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: أكرم العمري، (بغداد– 1967م).
16. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن حبيب، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، (القاهرة– 1961).
17. ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، (بيروت– 1980).
18. ابن عساكر، ابي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابي سعيد العمري، دار الفكر، (بيروت –1995).
19. ابن قتيبة الدنيوري، عبد الله بن مسلم، عيون الاخبار، تحقيق: السيلاوي، دار الكتب المصرية، (القاهرة– 1925).
20. الادريسي، ابو عبد الله محمد الشريف السبتي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق: مجموعة من العلماء، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة– د.ت).
21. الإدريسي، أبو عبد الله محمد الشريف السبتي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: مجموعة من العلماء، نشر مكتبو الثقافة الدينية، (القاهرة– د.ت).
22. الإدريسي، أبو عبدالله محمد الشريف، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، (الجزائر– 1957).
23. إسماعيل، محمود، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، القاهرة، 1986.
24. أيوب، إبراهيم، التاريخ الفاطمي السياسي، ط1، الشركة العالمية للكتاب، (بيروت).
25. أيوب، إبراهيم، التاريخ الفاطمي السياسية، ط1، الشركة العالمية للكتاب، (بيروت– د.ت).
26. البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر البارون دي سلان، (الجزائر– 1911).
27. البكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت– 2003).
28. البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (القاهرة– 1962).
29. التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد، رحلة التجاني، نشر: حسن حسني عبد الوهاب، (تونس– 1958).
30. الجنجاني، الحبيب، السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، وزارة الشؤون الدينية، (المغرب– 1977).

31. الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم السبتي، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. احسان عباس، (بيروت– 1975).
32. الداعي ادريس، عماد الدين القرشي، عيون الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، (بيروت– 1975).
33. الدجيني، أبو العباس احمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب المعروف بطبقات الاباضية، تح: إبراهيم طلاي، قسطنطية.
34. الرقيق القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، (تونس– 1967).
35. الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت–1997م).
36. زغلول، د. سعد، عبد الحميد تاريخ المغرب العربي، (الإسكندرية– 1969).
37. سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، (الإسكندرية– 1966م).
38. سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، (الإسكندرية– 1966م).
39. السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون تاريخ المغرب العربي، (الموصل– 1988).
40. السلاوي، أبو الحسن أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1954.
41. سوادي، عبد محمد، دراسات في تاريخ المغرب العربي، د.ط، (البصرة– 1989).
42. الطبري، اب جعفر محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت–1986).
43. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، (القاهرة– 1977).
44. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية ومصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس، (بيروت–2001).
45. طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، 2004.
46. عزيز، احمد، تاريخ صقلية الإسلامي، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، (تونس– 1980م).
47. فروخ، عمر، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت– 1981).
48. الفيلالي، عبد العزيز، العلاقات السياسة بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار النشر والتوزيع، (القاهرة– 1975).
49. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: د. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد– 1986).
50. المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، (ليدن– 1906).
51. المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت– 1968).
52. المقريزي، أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر، منشورات محمد علي بيضون، (بيروت– 2001).
53. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: جمال الدين الشيال، (القاهرة– 1967م).
54. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، كتاب المقتفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، (بيروت– 1991).
55. الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، (الرباط – 1963).

56. مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في محاسن الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط– 1972).
57. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، نشر: ليفي بروفنسال، (الرباط– 1934م).
58. الميلي، محمد، تاريخ الجزائر القديم والحديث، (الجزائر– 1963).
59. النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، نشر: د.مصطفى أبو ضيف، (الدار البيضاء– 1984م).
60. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف أفريقيا، ترجمة: د.محمد حجي ومحمد الأخضر، ط1، مطبعة وراقة البلاد، (الرباط– 1982).
61. اليافعي، ابو محمد عبد الله بن احمد بن علي بن سليمان، مرأة الجنان وعبرة اليقطان، دار الكتاب الاسلامي، (القاهرة–1993م).
62. ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت–1995م).